كلمـــة أخرى

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدي الأستاذ عبد الجواد رمضان

ما تشرفت بمعرفة شخصك ، ولكن تشرفت بتلاوة فصلك

وهو يستثير العاطفة بإنماع العقل ، ويلهب الروح بالمعنى لا باللفظ ، وبالهدوء لا بالثورة ، وبالحجة لا بالتهويش

ويعد «الحديث» عند بعض الناس آيته الكبرى ، غير أني علمت من بعض المتصلين به .. أنها آخر مواهبه ، فقد كان أبلغ مواهبه القدرة على الإقناع ، وكسب «الفرد» بعد «الفرد» فيربطه به برباط لا ينفصم ، فيراه صاحبه صديقا خاصا ، وتقوم بينه وبين كل فرد يعرفه صداقة خاصة خالصة ، يكون معها في بعض الأحيان مناجاة ، وتنتقل بالتعرف على شؤون الوظيفة والعمل والأسرة والأطفال

وهذه أقوى مظاهر عظمته ، فهو قد كسب هؤلاء الأتباع فردا فردا ، وأصاب منابع أرواحهم هدفا هدفا ، وإن لم يكسبها جملة ولا على صفة جماعية ، وقد استطاع بخصافته وقوته وجبروته أن ينقلها من عقائدها وأفكارها ، سواء أكانت سياسية أم دينية ، إلى مذهبه وفكرته .. فتنسى ذلك الماضي ، بل وتستغفر الله عنه ، وتراه كأنما كان إثما أو خطأ

ومن أبرز أعمال هذا الرجل ، أنه جعل حب الوطن جزءاً من العاطفة الروحية فأعلى قدر الوطن وأعز قيمة الحرية ، وجعل ما بين الغني والفقير حقا وليس إحساناً ، وبين الرئيس والمرءوس صلة وتعاوناً وليس سيادة ، وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطاً

وتلك من توجيهات القرآن ، غير أنه أعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل

(يتبع) أنور الجندي

الذي يدل على فضلك ونبلك ، وأنا أعترف يا أستاذي أني لم أقرأ مقالات أخي الأديب الضليع الأستاذ محمود شاكر في (المسلمون) ولم أطلع إلا على الجزء الأول من هذه المجلة ، ولست مشتركا فيها (مع الأسف) ، ولا تباع في مكتبات دمشق فأراها ، ولا أقول بذم أحد من الصحابة فضلا عن القول بكفره والعياذ بالله أو نفي الإسلام عنه ، ولا أنتقص بني أمية أقدارهم ولا أسلبهم فضائلهم ، ولئن كنت كتبت مقالة في تمجيد بني أمية بالحق ، لأكتبن مقالة في تقدهم بالحق . وما بنو أمية ولا غير بني أمية ، ولا شيء في الدنيا إلا وفيه ما يمدح وما يذم ، والكمال المطلق لله وحده ، والعصمة للأنبياء . ولقد قال مثل مقالتي رجل فأنكرها عليه ، ثم قبلها منه — من هو خير مني ومنك ، ومن أهل الأرض : محمد رسول الله ، حين قال له الرجل : يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت

فقال الرسول صلوات الله عليه : إن من البيان لسحرا

فليس يرد علي ما أوردته من فضل معاوية ومناقبه ، ولست أنكره ، ولكن قل لي : هل تنكر أنت أن معاوية بشر يخطىء ويصيب ؟ وهل تنكر أن الاسلام حجة على معاوية ، ومعاوية ليس حجة على الاسلام ؟

فما حكم الاسلام في البدعة التي ابتدعها معاوية ؟

هذا هو موضوع الكلام

* * *

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف ، واستخلف أبو بكر ، وتركها عمر لجلس الستة ، كل هذا معروف ولكن هل نال عمر الخلافة بعهد أبي بكر ؟

لا يا أستاذ . وهذه الأخبار استقصيتها في كتابي (أبو بكر) وكتابي (عمر) وقد جمعت فيه ما تفرق من سيرة عمر في سبعين ومئة كتاب ، وعزوت كل جملة فيه إلى مصدرها ، والأخبار كلها على أن أبا بكر لما أحس الموت أمر الناس أن يختاروا لأنفسهم ، فتركوا ذلك إليه ، فاختار لهم عمر وعرض ذلك

عليهم فقبلوا به ، فلما مات بايعوه فصار خليفة بالبيعة ، أي بالانتخاب الحر ، لا بالعهد ، وكذلك كان عثمان بن عفان خليفة من بعده بالبيعة . إن الاسلام لم يحدد أسلوب الحكم ، وترك ذلك لرأى الأمة ، ولكنه وضع أساساً لا يمكن إقامة الأمر إلا عليه ، وهو الشورى والانتخاب الحر ، فإذا انتخبت الأمة رجلا وبايعته حرم الخروج عليه ، ومنازعته الأمر ، لئلا تعم الفوضى ، والفوضى أكبر ضرراً على الأمة من الاستبداد

ومعاوية جاء ببدعتين :

الأولى : أنه انصرف عما وضع في عنقه من أمانة الحكم ، والنظر لمصلحة الأمة ، إلى تمهيد الأمر لابنه يزيد من بعده ، جمع لذلك فكره ، وسخر لذلك ماله وسلطانه ، فصارت سنة من بعده ، أدت إلى إضاعة أمر المسلمين بانصراف الخليفة عنه إلى أمر ولده ، وإلى تولية من لا يصلح للولاية

الثانية : أنه حول الانتخاب الاسلامي الحر الصحيح إلى نوع من الترغيب والترهيب والتدخل ، ولو أن المسلمين كانوا أحراراً في انتخاب من يخلف معاوية ما انتخبوا يزيد ، ولا يخلو من فضائل . ولكن هل كان يزيد أتقى الناس ؟ أو هل كان أعلم الناس ؟ أو هل كان أحق الناس بالخلافة ؟

وهل سار يزيد بالدولة سيرة أبي بكر وعمر ؟ أم أظهر المحرمات ، وجرأ الناس على الباطل ؟ ومن أطلق لسان الأخطل الشاعر النصراني في أنصار رسول الله إلا يزيد ؟ من قتل المدينة مالا تفعله الروم والمغول إلا يزيد ؟

إنه إذا قيل عن الأسود أبيض ، يقال عن الأبيض لا محالة أسود . فإذا كانت حكومة يزيد وأمثاله حكومة إسلامية ، فإن حكومة عمر لا تكون إسلامية ، لأنهما متناقضان مختلفان

وإذا كان عهد معاوية إلى يزيد من الإسلام ، فإن صرف عمر الأمر عن عبد الله ليس من الإسلام . هذا إن كانا متشابهين متكافئين ، فكيف وهذا يزيد ، وذاك عبد الله !

* * *

وأنت تذكر يا أستاذ أن الذي قال عن معاوية : لقد جعل الأمر كسروياً قيصرياً ليس على الطنطاوي ! وأنت تعلم يا أستاذ رأي عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين في أهله من بني أمية ، وفي حكمهم ، وفي الحجاج وأمثاله خاصة !

وأنا أشكر لك نصحك الناس ألا يلوثوا ألسنتهم بدماء القوم ، وأنا أول من يسمع هذا النصح ، وما بي والله عداوة الأمويين ، ولا محبة غيرهم ، ولكن القيام مقام الدفاع عن الاسلام ، ببيان حكمه في حكم بني أمية ، لئلا يحمل أحد سيرتهم على الدين فيقتدي بهم ، فيضل عن سبيل الحق

علي الطنطاوي

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى

للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة